

الذكاء العاطفي في العلاقة الزوجية كأنموذج للعلاقة بينشخصية

أ/علي خرف الله

جامعة الوادي

ali-psych@hotmail.com

ملخص:

تم التركيز في هذه المقالة على واحد من أهم المفاهيم التي أضحت تسيطر على اهتمام علماء النفس والمتمثل في الذكاء العاطفي ، وخاصة ما يتعلق بدوره في نوعية العلاقة الزوجية . وكان التركيز أساسا على ما يمكن اعتباره تجاوزا للطرح التقليدي لموضوع العلاقة الزوجية والذي ظل الاهتمام فيه منصبا على عوامل بعينها كالعوامل الديموغرافية ، والسوسيوقافية ونحوها من حيث مساهمتها في بناء علاقة زوجية ناجحة. فلقد باتت العوامل الشخصية محل اهتمام الباحثين ومركز الدراسات الحديثة ، وقد تصاعد الاهتمام بصفة خاصة بالدور المركزي للذكاء العاطفي في العلاقات بين شخصية عموما ، والعلاقة الزوجية على وجه الخصوص وهذا الأمر هو مدار ما نبتغي توضيحه من خلال هذه المقالة.

Summary:

The present article focuses on the role of emotional intelligence in the marital relationship as one of the most important interpersonal relationships. Emotional intelligence is a notion which has become more and more interesting psychologists. Many studies have explained in different ways and by using different methods how it effects the quality of marital relationship, especially the marital satisfaction ,this way of studies has given new answers that are not as the traditional answers given in the field of psychological studies .

=====

● مدخل:

يبدأ البناء الاجتماعي السليم من اضطلاع الأسرة بالدور المنوط بها فيه ، باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يقع على عاتقها القسط الأكبر من

المسؤولية على استقرار المجتمع وصلاحه فهي تمثل مركز الضبط الاجتماعي الأول بامتياز، على المستوى القيمي والعائلي، كما تلعب دورا في الوقاية وفي تحقيق الصحة النفسية والأمن النفسي والاجتماعي لأعضائها.

وتتأسس الأسرة ابتداء على العلاقة المحورية فيها وهي العلاقة الزوجية أو مايسميه بعضهم مؤسسة الزواج (institution of marriage) والتي تجمع بين شريكين هما الزوج والزوجة . إذا استثنينا حالات التعدد(*) . ويكون انعقادها في البداية مؤسسا على نية الاستمرار والاستقرار من غير أن يتبادر إلى الذهن . على الأغلب . أن تكون علاقة عابرة أو مشروعا مرحليا ، وقد حرصت على ذلك الشرائع المختلفة ، وحرص الإسلام بصفة خاصة على ضمان حماية استقرار العلاقة الزوجية من مرحلة الاختيار إلى تحديد طبيعة العلاقة بين الزوجين من حيث أنها علاقة تقوم على المودة والرحمة وقيام كل طرف بواجباته نحو الآخر .

ومن دون شك فإن استقرار ونجاح العلاقة الزوجية ليس مآلا حتميا ، لكنه المآل المرغوب(**) ، مثلما أن انحلال العلاقة الزوجية وفشلها ليس مآلا حتميا ولكنه المآل غير المرغوب . فليس هناك حاجة إلى التأكيد أن نجاح العلاقة الزوجية ينعكس إيجابيا على الزوجين من حيث صحتهم النفسية كما يشبع حاجتهما ودوافعهما المختلفة التي يصعب إشباعها من دونه مثل دوافع الجنس والوالدية ، والحاجة للحب والتقدير والحاجة لتأكيد الذات (محمد السيد عبد الرحمان 2002:16.15) كما يمثل الزواج الناجح دافعا لكلا الزوجين نحو الإنجاز والإبداع والقدرة على التجديد ومقاومة ضغوط الحياة والعمل (APRIL & TAOS 2005:32) والعكس هو المتوقع في حال فشل العلاقة الزوجية أو اختيار مقومات نجاحها ، بحيث يفشل الأزواج في مواجهة المشكلات والصعوبات التي تعترضهم ويتولد لديهم الشعور بالنقص وعدم الكفاءة وهو ما يترتب عنه تعطيل طاقاتهم ويقلل من فرص النجاح والاستمرار لديهم (عبد الله جاد محمود 2006: 55).

إن الحديث عن العلاقة الزوجية من جهة أخرى هو حديث عن علاقة نوعية ومتميزة ، من بين أشكال العلاقات الإنسانية ، وهي تعتبر بلا منازع الأكثر عمقا و الأكثر حميمية ، بل والأكثر تأثيرا في الحياة البشرية برمتها، فاستعراض الأحداث الكبرى الأهم في حياة الإنسان سيظهر أن الزواج يمثل واحدا من أهمها .

وترتبط العلاقة الزوجية بجملة من المفاهيم التي تلتقي وتفتق بحسب السياق الذي ترد فيه والمعنى الذي تعبر عنه : الزواج Marriage ، الزوج Couple ، الحياة الزوجية Marital life ، الأسرة ، Family . ويعيننا هنا مفهوم العلاقة الزوجية من الناحيتين النفسية والاجتماعية والتي تشير إلى رباط أو علاقة بين طرفين هما الرجل والمرأة بحيث يشكل صيغة عقد يتيح الإنجاب والممارسة الجنسية كأبسط صورة لتجسيد هذه العلاقة ، والتي هي في حقيقتها من المنظور الإنساني أكثر تعقيدا وعمقا من هذا التوصيف . ومن هنا نتوقع تكون العوامل التي تسهم في نجاحها واستمراريتها عوامل نوعية وخاصة .

● مآل العلاقة الزوجية وتغير الاهتمام بالعوامل المؤثرة عليه:

في سياق الحديث عن مآل العلاقة الزوجية فإنه لا يمكن إصدار أحكام قطعية ونهائية على طبيعة العوامل المرجحة في التأثير على هذا المآل ، إذ يمكن أن تتنوع وتتعدد فلقد بينت دراسة طويلة بين سنتي 1980 و 2000 ؛ أي على مدى عشرين من السنوات أن هناك عوامل متنوعة (اجتماعية وثقافية واقتصادية وعوامل تتعلق بتغير دور الجنس.. وغيرها) كان لها الأثر الواضح على مآل الزواج (Bricker. 2005:1).

وفي أية حال من الأحوال، ليس من السهل تحديد خط معين للدراسات التي تناولت موضوع الزواج والعلاقة الزوجية من جهة الجوانب التي تركز عليها فيما يتصل بفشل أو نجاح العلاقة الزوجية ، والمعايير المستند إليها في هذا الإطار مع ما يرتبط بذلك من مواضيع حضيت باهتمام واسع من قبل الباحثين كالتوافق الزوجي، والاستقرار الزوجي، والتوقع الزوجي، والرضا الزوجي.. وهي المواضيع

التي بنيت عديد المقاييس التي تقيسها. وما من شك أن الدراسات قد غطت الكثير من المتغيرات التي هي على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالعلاقة الزوجية ويدخل ضمن ذلك العوامل الديموغرافية المختلفة و العوامل الاجتماعية ، وغيرها مما شكل أبعادا في العديد من المقاييس التي بنيت لتقيس التوافق ، أو الرضا ، أو الاتصال في العلاقة الزوجية. مع ما كان هنالك من اتفاق أو اختلاف بين نتائج الدراسات العديدة التي تناولت موضوع العلاقة الزوجية.

● الاهتمام المتزايد بأثر المهارات بين شخصية على العلاقة الزوجية:

ولكن الذي يلفت انتباه أي مهتم بهذه المواضيع هو الاهتمام المتزايد من قبل الباحثين بالجوانب الشخصية في العلاقة الزوجية ؛ أي تلك التي تتعلق بشخصية كل من الزوج والزوجة ، والجوانب المتصلة بما يمكن أن نسميه المناخ السيكولوجي للعلاقة الزوجية ، وكذا الجوانب التواصلية والعاطفية في سلوك الزوجين ، وما يستلزمه ذلك من إدراك للعواطف والتعبير عنها ، وكيفية التعامل مع الحياة العاطفية والانفعالية إجمالاً من قبل كلا الزوجين أو أحدهما.

وضمن هذا الإطار ركزت دراسات على أشكال التفاعل بين الزوجين وأثرها على تحديد مآل العلاقة الزوجية ، ومن هذه الدراسات دراسة (Gottman et al 1998) ودراسة (Gottman & Driver 2004) وقد فحصت هذه الدراسات الطريقة التي يتواصل بها كل طرف مع الآخر في إطار العلاقة الزوجية ، كما أولت بعضها عناية خاصة بحل الصراعات والتواصل العاطفي (Greef & De Bruyne 2000) وتم التوصل إلى أن الطريقة التي تتم بها المناقشة بين الزوجين والتعبير عن عواطف أحدهما اتجاه الآخر كان لها الأثر الواضح على تحديد مآل العلاقة الزوجية، وركزت دراسات في نفس السياق على العوامل بين شخصية وعلى سلوك الأزواج اتجاه بعضهما ، ويدخل ضمن ذلك الوقت الذي يقضيه معا ومدى إظهار العواطف من قبل أحدهما اتجاه الآخر (Amato et al 2003). مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الدراسات قد

توصلت في محصلتها إلى وجود فروق بين طريقة تفاعل المرأة وطريقة تفاعل الرجل ضمن العلاقة الزوجية ومن ذلك رؤية كل منهما للصراع أو الحميمية (Conflict and Intimacy) آخذين بعين الاعتبار مرد هذا الاختلاف الذي يتمثل في عوامل محددة له تنوعت تفسيراتها ، منها ما يرجع ذلك إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية أو إلى عوامل أسرية تتدخل في تحديد طبيعة العلاقات المستقبلية كما في العلاقة الزوجية.

إن المهارات البينشخصية المطلوبة لحل الصراع أو تعزيز الحميمية بين شريكي العلاقة الزوجية ، يظهر وكأنها مهمة للغاية في تحديد وتأسيس المآل الناجح للعلاقة الزوجية وهناك عدد من الدراسات التي تصب في سياق التركيز على المهارات العاطفية إجمالاً ودورها في تحديد نوعية العلاقة الزوجية . فقد أظهرت دراسات أن الانفعالات الإيجابية (Gottman & levenson 1992) ، الثبات الانفعالي (Russel & wells 1994) ، تقدير الذات (Arrindel & Luteijin2000, Luteijin 1994) ... قد ارتبطت بإقرار شريكي العلاقة بالسعادة ، في حين ارتبطت الانفعالات السلبية كالخوف الزائد و الاكتئاب والاندفاعية بسوء التوافق (O' leary & Smith1991). وقد أعطت مثل هذه الدراسات صورة عن أهمية العوامل الشخصية في نوعية العلاقة الزوجية مؤسسة لتناول يتجاوز الأطر التقليدية للدراسات في هذا المجال.

• الذكاء العاطفي ومآل العلاقة الزوجية:

الحديث عن المهارات وبعض السمات الانفعالية التي تصدر مصاحبة للعلاقات البينشخصية . التي تمثل العلاقة الزوجية أنموذجاً لها . هو حديث عن مفهوم أكبر تدخل في تركيبه أو هيكله العام وهو ما بات يصطلح عليه الذكاء الانفعالي أو الذكاء العاطفي الذي يدور البحث فيه حول سبب نجاح بعض الأشخاص في علاقاتهم المهنية والزواجية والاجتماعية العامة بينما لا يتمكن غيرهم من ذلك بنفس المستوى. وقبل الحديث عن أهمية الذكاء العاطفي على الأصدقاء

المختلفة المتصلة بالشخصية الإنسانية إجمالاً ثم الحديث عن دوره في مآل العلاقة الزوجية، من المفيد إلقاء نظرة على طائفة من التعريفات التي تم تقديمها للذكاء العاطفي ، ثم نستعرض ونحلل النقطتين الأخريين.

أ- نظرة على بعض التعريفات التي قدمت للذكاء العاطفي:

عرفه سالوفي و م (Salovey & Mayer, 1995:197-208) " بأنه يتمثل في التعبير عن الانفعالات وهو يشمل القدرة على توضيح المشاعر و التعرف عليها من خلال الكلمات أو تعبيرات الوجوه و العلاقات مع الآخرين و التعاطف و الحكم على مشاعر الآخرين و إعادة الخبرة بهذه المشاعر، كما أنه التنظيم التكيفي للانفعالات وذلك عن طريق التنظيم و التقويم ثم تغير الانفعالات .

و عرفه جولمان سنة 1998 " بأنه قدرة الفرد على القراءة الوجدانية أو قراءة مشاعر الآخرين يتمكن من تكوين علاقات اجتماعية طيبة كذلك يتضمن الذكاء الوجداني ضبط النفس عل التحكم في نزعاتنا الداخلية و نزواتنا وهو قابل للتعلم و التحكم .

كما عرفه " بأنه مجموعة القدرات أو المهارات التي يسميها البعض صفات أو سمات شخصية لها أهميتها البالغة في مصيرنا كأفراد" (جولمان ، 2000 : 58) و تأسيسا على أعمال سالوفي و ماير قدم جولمان الأوصاف التالية للذكاء العاطفي:

- القدرة على معرفة المشاعر التي نشعر بها و التعامل معها دون أن نعرض أنفسنا للخطر ، و القدرة على معرفة كيف يشعر الآخرون.
- قدرة الفرد على التمييز بين الشعور السيئ ، و قدرته على التحول من الحزن و الكآبة إلى السعادة و المرح.
- الوعي بالذات و المهارة في الإدارة الذاتية التي تساعد الفرد للوصول إلى أقصى درجة من السعادة.

- القدرة على تحفيز الذات لإنجاز المهام وأدائها على نحو خلاق .
- القدرة على إقامة علاقات اجتماعية و التعامل معها بفاعلية.

وذهب أبراهام (Abraham 1999) الى تعريف الذكاء العاطفي بأنه القدرة على تنظيم انفعالات الذات و الآخرين و الفصل بينهما و استخدام تلك المعلومات في التحكم تفكير الفرد و ردود أفعاله.

أما بارون و باركر (Baron and perker 2000) فقدا تعريفا للذكاء العاطفي بأنه عبارة عن القدرات المرتبطة بفهم كل من الذات و الآخرين و ارتباط الأفراد بعضهم ببعض ، و التكيف مع احتياجات البيئة ، و إدارة الانفعالات (أمل حسونة منى أبو ناشي، 2006: 50).

وفي معنى مشابه يعرفه مارتيناز (Martinez '2000: 334-336) : بأنه عملية ذاتية دائمة يومية يمارسها الفرد و تشمل الدافعية، التخطيط ، الهدف ،استخدام الأساليب و الاستراتيجيات المختلفة و تقييم الذات و إقامة علاقات ناجحة مع الآخرين و قدرة الفرد على مواجهة المشكلات والقدرة على ضبط النفس و التحكم في الانفعالات.

ويبدو من خلال استعراض كل التعريفات ما هنالك من تداخل بين مفاهيم الذكاء العاطفي ، و الذكاء الاجتماعي. وهذا منذ أن بدأ الحديث عن الذكاء الاجتماعي في بدايات القرن العشرين ، ثم منذ أن طور جاردنر نظريته في الذكاءات المتعددة و يشمل معرفة الفرد لعواطفه و مشاعره، و القدرة على ضبط الانفعالات و التحكم فيها و إدارة علاقات ناجحة إيجابية مع الآخرين أهم متضمنات مفهوم الذكاء العاطفي.

ولا نحب أن نتجاوز هذه التعريفات دون أن نشير إلى تعدد المصطلحات المستعملة في اللغة العربية لتؤدي معنى مصطلح Emotional intelligence في اللغة الانجليزية ومن تلك المصطلحات: الذكاء الانفعالي ،

الذكاء الوجداني ، الذكاء العاطفي ، ذكاء المشاعر.. وقد فضلنا استخدام مصطلح الذكاء العاطفي من جهة دلالاته القوية في نظرنا خاصة في الجوانب العلائقية.

ب- نظرة عامة على أهمية الذكاء العاطفي:

ما من شك أن العواطف و الانفعالات تمثل جانبا أساسيا من الجوانب المشكلة للسلوك الإنساني، كما تعد قوة على قدر كبير من الأهمية في رسم ملامح الشخصية الإنسانية منذ المراحل المبكرة من حياة الإنسان، مروراً بمختلف مراحل العمر. هذا وتختلف العواطف باختلاف شخصية الفرد وسلوكه ، ولذلك يميز بين الناضج عاطفياً ومن هو دون ذلك ، وبين من يملك القدرة على التكيف مع المجتمع و مقتضياته ومع الأفراد ومن يفتقد تلك القدرة، ومن يحسن إدارة عواطفه و انفعالاته ومن تخونه مهاراته في هذا المجال و تمثل العلاقات الإنسانية في هذا الإطار المجال الأكثر أهمية في توظيف العواطف و إدارتها وقد ابرز دانييل جولمان أهمية العواطف و توظيفها بذكاء في حياتنا قائلا: " إن أي نظرة للطبيعة الإنسانية تتجاهل قوة تأثير العواطف ، هي نظرة ضعيفة الأفق بشكل مؤسف: لقد غالينا كثيرا في التأكيد على قيمة و أهمية العقلانية البحتة التي يقيسها الذكاء الموضوعي في حياة الإنسان سواء كان هذا المقياس إلى الأفضل أو الأسوأ فلن يحقق الذكاء شيء لو كبح جماح العواطف". (دانيال جولمان، 1995 : 19)

لقد أكد بعض الباحثين أن الذكاء الموضوعي أو التقليدي لا ينبئ عن أداء الفرد الحقيقي ، وفي هذا السياق أكد هانتر و هانتر (Hunter and 1999) أن الذكاء الموضوعي في أفضل الظروف بنسبة 28% من التباين في أداء الأفراد ، بل و أشارت بعض الدراسات إلى أن الذكاء المعرفي التقليدي يسهم بنسبة 4% فقط من التباين بين الأفراد (فوقية محمد، 2001: 175) و في دراسة تتبعه ل فيست و بار-اون (Feist and Barr-on 1996) للحاصلين على درجة الدكتوراه في العلوم بعد تخرجهم من الجامعة و لمدة 40 سنة تبين أن العوامل الانفعالية كانت هامة بنسبة 4 إلى 1 مقارنة بالذكاء

التقليدي، في تحديد المكانة الاجتماعية و النجاح المهنيين-Feist and Barr (1996:64). و أوضح (السيد عثمان و محمود شاكرا، 1998: 79) أن النواحي الوجدانية تؤثر بشكل مباشر في العلاقات و التفاعلات الاجتماعية ، و تؤثر بشكل غير مباشر في الأنشطة العقلية و هذا يسهم بدوره في الصحة النفسية للفرد و الجماعة .و أشار كوبر (Cooper1997) إلى أن العواطف و الانفعالات تلعب دورا مهما في بناء الثقة لدى الأفراد، و الولاء و الالتزام و تحقيق العديد من المكاسب الإنتاجية و الابتكارات و الانجازات العلمية .و يرى كوبر أن الأشخاص يغضبون ويثارون ولكن المهم الكفاءة في استثمار تلك الطاقة جيدا و بصورة أكثر عقلانية (السمدوني، 2007: 46)

و تظهر أهمية الذكاء العاطفي في تحقيق الايجابية في التكيف مع الظروف المختلفة مثلما دلت على ذلك دراسة ماير(Mayer 2001) حيث تبين أن الفرد ذو الذكاء العاطفي يقوم بالتصدي للأفراد الذين يقومون بإعمال سيئة أو خاطئة أو يقومون بأعمال مهدد للآخرين وعلى ذلك فالشخص الذي لديه ذكاء عاطفي يكون أفضل اجتماعيا كما أن اختياراته في الحياة سوف تصبح أفضل حسب صفوت فرج 2001 (أمل حسونة و منى أبو ناشي، 2006: 65).

و لقد أوضح جورج George 2000 أهمية الذكاء الوجداني في الانتباه فهو يؤدي إلى التركيز و التميز و اتخاذ القرار و إعطاء الرأي الصحيح و عدم الاستجابة للإحباط الأولي الذي يحدث كما أن الأشخاص الذين لديهم ذكاء يكونون أكثر استجابة نحو أحداث الحياة من الآخرين ، كما أن لهم مهارات لعب الدور. وضح أيضا أنه عندما تكون لدى الفرد انفعالات سلبية فإنه يميل إلى أن يكون أكثر تشاؤما و لا يمكنه إدارة الأحداث الايجابية ، بينما الذي لديه انفعالات ايجابية يسهل أن تتواجد لديه العمليات المعرفية مثل التفكير الإبتكاري و الاستنباطي و التفكير الاستدلالي كما أنه أكثر تنبها للتفاصيل واكتشاف الأخطاء و المشكلات و الجذور و التدقيق في المعلومات، كما أن الأفراد الذين لديهم

مشاعر موجبة فإنهم يتوقعون النجاح في المستقبل و فاعلية الذات (George J.M 2000) (أمل حسونة ، منى أبو ناشي 2006 : 55) .

وتشير دراسات إلى وجود علاقة واضحة بين التوافق الانفعالي و الاجتماعي و بين الذكاء العاطفي ، وكذا بين الذكاء العاطفي و التوافق الزوجي ، ذلك اذا علمنا أن الذكاء العاطفي يشمل القدرة على التحكم ، وضبط النفس و المهارات الاجتماعية و كلها عوامل تساعد على تحقيق التوافق الزوجي (أمل حسونة، منى أبو ناشي، 2006 : 56) .

و إجمالاً فإن الاهتمام بالذكاء العاطفي و التركيز عليه ، يمثل تجاوزاً للاعتقاد الكلاسيكي المبني على فكرة أن الفرد لكي يفكر بوضوح لابد أن يكبح وجدانه، و ذلك ما أشار إليه إلستر 1985 بوضوح " عندما تشترك الوجدانات بصورة مباشرة في السلوك فإنها تميل إلى إغراق أو إفساد العمليات العقلية المنطقية و ليس الإضافة إليها" (Salovey and Mayer, 1995:125) وهذا يعني النظر إلى العاطفة أو الوجدان على أساس أنه معطل و مظلّل للتفكير المنطقي.

لقد كان السائد أن هناك علاقة عدائية بين التفكير و الوجدان، و هو ما أثر حتى على الاهتمامات التربوية للمدرسة ، فكأن الاهتمام الأوحدها هو العمليات العقلية و التفكير، ولا يوجد أي مجال للعاطفة ، و أكثر من ذلك فإن التنشئة الاجتماعية من قبل الآباء لأبنائهم كانت تقوم فيما تقوم عليه أن " الكبير لا يبكي " أي أن الولد يجب أن لا يبكي فالبكاء تعبير عن العواطف و الوجدان وهذا يعد ضعفاً! . وقد ذكر وليام بولاك (William pollak) في هذا الصدد أنه : " عندما لا نترك الأولاد يكون بالدموع فإن بعضهم سوف يبكي بالرصاص " (النمر، 2006 : 03)، كما ذكر جابارينو Garbarino : " إذا فهمنا الحزن عند الأولاد ، فإننا سوف نتعامل مع هذا الحزن و لا ننتظر أن نضطر للتوافق مع عدوانهم وهذا يعطينا صورة عن الأهمية القصوى لفهم العواطف و التعامل معها على أساس ذلك الفهم ،

ويشير إقرار ل هين Hein 1996 و هو يعبر عن تنشئته قائلا: " أستطيع أن أخبركم عما اعتقده عن كل شيء ، ولكن لا أستطيع إخباركم كيف كان شعوري عن أي شيء " و يوضح لنا هذا أيضا ذلك الفرق الواضح بين الفهم العقلي المنطقي للأشياء والوقائع والمواقف المختلفة وبين التفاعل العاطفي معها وانبثاق التصرف المناسب على ضوء ذلك التفاعل، هذا وإن أهمية الذكاء العاطفي تكمن من جهة أخرى في التفعيل القوي للنوع الجديد في علم النفس في سياق تطور علم النفس وهو علم النفس الايجابي الذي يركز على البناء فوق نقاط القوة الموجودة ، بينما يقل اهتمامه بإصلاح ما تم كسره ، بمعنى تغير هدف علم النفس من الانشغال فقط بإصلاح الأشياء السيئة في الحياة إلى بناء أفضل الصفات في الحياة ، فهو يقوم على فكرة أنه إذا تم تعليم الناس المرونة ، و الأمل ، و التفاؤل فإنهم يكونون أقل عرضة للاكتئاب ، وسيكون لديهم حياة أسعد و أكثر إنتاجية ، إن هذا العلم يعتبر أن السمات البشرية الايجابية تعمل كمضادات للمرض النفسي (Salovey& Mayer 159 : 2002) ولا يخفى ما لهذا المنحى من أهمية في سياق العلاقات بينشخصية عموما و العلاقات الزوجية على الخصوص.

إن الذكاء العاطفي أو الانفعالي يدور حول فرضية وجود بعض المهارات و القدرات المعللة لمثل تلك الكفاءة في بناء العلاقات الاجتماعية الناجحة ، والتي يمكن أن تمثل معطيات فطرية ، أو يتم تعلمها عن طريق التنشئة الاجتماعية أو من خلال النمذجة (Bricker,D 2006:3). وحينما تطبق تلك المهارات والقدرات في المواقف المختلفة فمن المرجح أنها تفضي إلى تحقيق مخارج ناجحة للسلوك في تلك المواقف. وهناك اختلاف نسبي بين النماذج المقترحة لمكونات الذكاء العاطفي أو الانفعالي ،على أنها لا تبعد كثيرا عن بعضها ، فوفقا لنموذج القدرة لماير و سالوفي (Mayer & Salovey 1997) فإنه يتضمن أساسا القدرة على إدراك الانفعالات ، القدرة على فهم الانفعالات، القدرة التعبير عن

الانفعالات، القدرة على إدارة الانفعالات. وقد ركز ماير وسالوفي وكاروزو بعد ذلك على مهارات وقدرات تتمثل في الإدراك والفهم والتعبير . (Mayer , Salovey & Caruso, 2004). وهذه المهارات اعتبرت على جانب كبير من الأهمية في فهم السلوك البينشخصية في العلاقات الإنسانية عموماً والعلاقة الزوجية على الخصوص.

ج - الذكاء العاطفي و مآل العلاقة الزوجية:

إن بناء العلاقة الزوجية ينقل طرفي هذه العلاقة الزوج والزوجة من حال إلى حال، ويمكن القول في هذا الإطار أن كثيراً من مطالب الحياة الشخصية والاجتماعية لهما تتغير إلى حد كبير، كما أن التفكير في الزواج أصلاً يرتبط بمجموعة كبيرة من التوقعات التي يرجى تحقيقها من الطرفين وينتظران بشغف كبير كيفية ومدى تحقيقها بعد الزواج . ويرتبط هذا الأمر بمجموعة من المتغيرات النفسية والاجتماعية التي تحدد طبيعة ما يرتسم في ذهن كل طرف من طرفي العلاقة الزوجية عند التفكير أصلاً في الإقبال على الزواج وما يأتي بعدها من مرحلة الاختيار الزوجي ، وما من شك أن مسألة نجاح العلاقة الزوجية ، أو بناء علاقة زوجية ناجحة هو صميم ما ينال الاهتمام من قبل الباحثين في علاقته بالمتغيرات المختلفة، ويأتي في طليعة تلك المتغيرات التي يجب أن تنال الاهتمام الكافي الذكاء العاطفي، و بناء على كونه مفهوماً نسبياً نوعاً ما فإن الدراسات مازالت تتوالى وتختلف من حيث ما تركز عليه في تناوله . ولكن حضوره في دراسة العلاقات البينشخصية يتزايد . وفي مجال العلاقة الزوجية بصفة خاصة بدأت الدراسات تتسارع في ما يتصل بنوعية العلاقة الزوجية وخاصة متغيرات مثل الرضا الزوجي والتوافق الزوجي وطبيعة الصراع الزوجي ومدى عمق العلاقة الزوجية وسنعرض هنا لدراسات في هذا الإطار:

فقد توصلت دراسة شوت وآخرين (Schutte et al 1998) إلى أن هناك علاقة دالة بين الرضا الزوجي والذكاء العاطفي. كما توصلت دراسة برا

يكر من جامعة جوهانسبورغ حول العلاقة بين الذكاء العاطفي والرضا الزوجي إلى وجود علاقة دالة بين الذكاء العاطفي وبعض أبعاد الرضا الزوجي (Bricker, D 2005). وفي سياق تناول العلاقات البين شخصية ودور الذكاء العاطفي فيها أوضحت دراسة (Schutte 2001) أن العامل الرئيسي في تفضيل كلا الزوجين للطرف الآخر هو الذكاء العاطفي وأوضحت دراسة ل: (Gerieco 2001) عن أهمية الذكاء العاطفي والمساندة الاجتماعية في التنبؤ برضا الفرد عن الزواج ، تم التوصل إلى أن الرضا عن الزواج يأتي من خلال الذكاء العاطفي والمتمثل في ثلاث عوامل هي: ضبط النفس ، الوعي بالذات ، إقامة علاقات اجتماعية ، والذي يعتبر العامل الأول في مدى شعور الفرد بالرضا عن زواجه . وتوصلت دراسة كونكل (Kunkel 2002) إلى أن هناك علاقة ارتباطية إيجابية بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي .

التأسيس على نتائج الدراسات مثل التي تم ذكرها يبرز الدور المحوري للذكاء العاطفي في العلاقة الزوجية ، بل ومن المفيد أن نشير هنا إلى ما بات ينوه به بعضهم من أن الذكاء الذهني أو المعرفي المرتفع مع انخفاض الذكاء العاطفي لدى الزوجين لما يشير إلى احتمال فشل العلاقة الزوجية (مبيض ب ت: 125). فصاحب الذكاء الذهني أو المعرفي يكون مهتما أكثر بملاحظة أخطاء الطرف الآخر وتقييمه على أساس منطقي وفي حالة ما إذا ترافق ذلك مع ذكاء عاطفي منخفض من شأنه أن يقلل الحساسية في لمشاعر الشريك ، ويقلل الانتباه لعواطفه ، كما يؤثر على القدرة على إدارة العواطف الذاتية ، وحسن إدارة العلاقة مع الآخر. وكل ذلك وغيره مما تتضمنه مكونات الذكاء العاطفي وفق النماذج المختلفة المقترحة بشأنه.

وما من شك أن هناك صعوبة لا تخفى عن أي دارس لموضوع الذكاء العاطفي فيما يتعلق بقياسه سواء من حيث هو قدرة أو سمة ، وهذا الأمر يستتبع صعوبة تتصل بمعرفة احتمالات نجاح أو فشل العلاقة الزوجية ، هذا على الرغم من أن توقع

النجاح في العلاقات بشكل عام من خلال قياس الذكاء العاطفي أمر يرقى إلى ما يمكن اعتباره حقيقة مؤكدة . والعلاقة الزوجية تعد في نظرنا واحدة من أهم العلاقات بينشخصية إن لم تكن أهمها على الإطلاق، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار مكونات الذكاء العاطفي التي وإن اختلفت تبعاً للنماذج التي ظهرت وهي متعددة فإنها في المجال العلائقي تتمثل أساساً في :

- القدرة على الوصول للعواطف والمشاعر، والاستفادة منها لتوليد الأفكار المناسبة لتلك المشاعر، ومن ثم استعمالها في تحليل الموقف أو حل مشكلة ما وفق ما ولدته هذه المشكلة من مشاعر وأحاسيس.
- القدرة على الفهم العاطفي و المشاعري للأحداث والمواقف.
- القدرة على التعامل أو التكيف مع العواطف و المشاعر الذاتية أو التي لدى الآخرين من الناس، والقدرة على تنمية الذكاء العاطفي (مببض، ب ت:130) .

والحال أن الكشف عن هذه المكونات عند شريكي العلاقة الزوجية أو أحدهما هو أمر على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق باستمرار العلاقة الزوجية، بل والعمل على حمايتها من عوامل الاهتراء والتآكل. كما يمثل من جانب آخر عاملاً مساعداً على توقع مآل العلاقة الزوجية .

إن العلاقة الزوجية هي أكثر العلاقات التي يحتاج كل طرف فيها إلى أن يشعر أن الطرف الآخر يهتم ويعتني به ، كما يتعاطف معه ويواسيه ، خاصة عندما يتعرض لألم أو معاناة مع ما لذلك من أشكال كالغضب والانزعاج والحزن. وأكثر من ذلك فإن كل طرف من طرفي هذه العلاقة من الضروري بمكان أن يكون قادراً على التعبير عن مشاعره بالشكل الواضح والمناسب ، وبالقدر الذي يكون في حاجة إلى أن يظهر للآخر مقدار أهميته عنده ، فإنه بحاجة إلى أن يقع من الطرف الآخر الأمر عينه.

وما من شك أن الذي يقع في غياب مثل هذه المشاعر النوعية أو هذه القدرات الخاصة عند أحد الطرفين أو كلاهما لمما يدفع إلى بدائل غير مناسبة مثل محاولة تغيير الطرف الآخر أو التأثير عليه بطرق غير سليمة مثل الضغط والإكراه واللوم والتحايل والتخويف ... و مثل هذه الطرق هي طرق تنتشر في سائر أشكال العلاقات الإنسانية، على أنها وفي العلاقة الزوجية تكون أكثر وطأة بفعل عوامل سوسيو ثقافية مفروضة تتصل بالأدوار الزوجية وبالعلاقة بين المرأة والجل عموماً.

ويبدو لنا أنه بات من الضروري الاهتمام بتنمية مهارات الذكاء العاطفي والمتصلة بصفة خاصة بالجوانب العلائقية وبفهم المشاعر والعواطف وكذا التعامل أو التكيف مع العواطف كما أنه من المفيد - والحال هذه - إقامة دورات موجهة لتنميتها خاصة على ضوء ما هنالك من انفتاح اجتماعي وتوجه إلى مثل هذه الأمور من جهة ، ولما يظهر من اهتمام متزايد بجوانب الكفاءة السيكولوجية و الجسمية المساهمة في إنجاح العلاقة الزوجية من جهة أخرى. ومن المفيد في اعتقادنا أيضاً أن يكون الاهتمام بهذا الأمر في المراحل التي تسبق الدخول في الحياة الزوجية سواء في إطار تثمين وإظهار عوامل الانجذاب بين شريكي المستقبل، أو العمل وفق برامج خاصة من أجل تنميتها كما أسلفنا .

ونحب- ونحن نتناول هذا الموضوع - أن نركز على نقطة أساسية وهي أنه مع تصاعد تداول مفهوم الذكاء العاطفي واتساع نطاق الدراسات حوله ، وتزايد المؤشرات المؤكدة على إسهامه في بناء علاقات بينشخصية ناجحة ، فإنه من المهم الكشف عن أثره في بناء علاقة زوجية ناجحة . ومن المهم في هذا السياق تسليط الضوء على ما لاختلاف مستوياته بين الناس في اختلاف قدرتهم على النجاح في الحياة بصفة عامة ، وفي بناء العلاقات مع الغير ، وهذا يقود فيما يقود إليه كأثر مباشر إلى الكشف عما إذا كان اختيار الشريك بناء على التشابه في مستوى مهارات الذكاء العاطفي في أقوى الاحتمالات، أو أن هناك ارتفاعاً في مستوى

نجاح العلاقة الزوجية بقدر الارتفاع في مستوى هذه المهارات إما لدى طرفي العلاقة الزوجية أو لدى طرف واحد الزوج أو الزوجة .

هذا ومن جهة أخرى فإنه من شأن ذلك أن يوفر إطاراً مهماً للتعامل مع طرفي العلاقة الزوجية سواء في إطار الإرشاد الزواجي ، أو العلاج الأسري ، أو حل المشكلات التي تطرحها العلاقة الزوجية عموماً ثم الانطلاق من ذلك في رسم استراتيجيات أو بناء برامج للتدريب على تنمية المهارات التواصلية والعاطفية لدى الأزواج سواء في ما قبل الزواج أو أثناء الحياة الزوجية .

إن تناول موضوع الذكاء العاطفي في الحياة الزوجية قد يعطي للمهتمين بها صورة عن سر قوة العلاقة الزوجية واستمرارها والحفاظ عليها ، أو اهتلاكها وتآكلها . إن لجوء بعض الأزواج إلى الطلاق أو العيش في حالة من الصراع شبه الدائم غالباً ما يفسر بعوامل ديموغرافية أو اقتصادية أو غيرها مع إهمال الجوانب المتعلقة بشخصية الزوجين ومدى قدرة أحدهما أو كلاهما على تسيير العلاقة الزوجية ، وهو ما قد يكون سبباً وجيهاً لما يحدث دون أن يلقي إليه بال.

وفي مجال علم النفس العيادي والإرشاد الزواجي هناك أهمية قصوى بالنسبة للعياديين وللمختصين في الإرشاد الزواجي والعلاج الأسري حينما يتعلق الأمر بدور الجوانب العاطفية إجمالاً ودور الذكاء العاطفي على وجه الخصوص في مآل ونوعية العلاقة الزوجية ، هذا إذا علمنا أن الاهتمام ينصب أكثر فأكثر على فحص العلاقات بينشخصية وما يحمله أطرافها من قابليات لتوجيهها نحو الأحسن ومن ذلك القدرة على إدارة العواطف وفهمها والتحكم فيها. ويدخل هذا خاصة فيما يتصل بنوعية العلاقة ومدى نجاحها بغض النظر عن مدة استمرارها ، إذ في الوقت الذي تستمر فيه العلاقة فإن ذلك لا يعني كونها علاقة فعلية وصحية .

وبعد، فإننا نعتقد أن استثمار ما يمكن أن نسميه الكفاءات العاطفية الموجودة لدى كل واحد من الأفراد ثم التأسيس عليها في تبصيره بالفرصة المتاحة له لإدارة علاقاته مع الآخرين بشكل جيد ، هو صلب ما يمكن أن نستفيد منه في دراسة

موضوع الذكاء العاطفي والإمام بمكوناته تحليلاً وتفعيلاً . وما من شك أن قابلية الذكاء العاطفي للتنمية والتي يرى فريق هام من العلماء أنها ممكنة هو أمر يزيد من الاهتمام بهذا الموضوع وإيفائه كامل العناية، فالواقع أن كثيراً من الانفعالات السلبية ونقص الكفاءة العاطفية في إدارة العلاقات الإنسانية الحساسة مثل العلاقة الزوجية ، هي التي يرجح أن تقف وراء كثير من النزاعات التي لا يبدو أن لها مبرراً حقيقياً، أو حتى موضوعاً حقيقياً. فيكون ذلك من أوكد دواعي العمل على تنمية مهارات الذكاء العاطفي والعمل على تفعيل العواطف الإيجابية من جهة ومن جهة أخرى البحث عن القدرات الكامنة لدى طرف أو أطراف علاقة ما. وما من شك أن العلاقة الزوجية تمثل مسرحاً مثالياً تكون فيه العواطف السلبية كامنة تحت السطح في أي صراع أو نزاع زواجي ، والعكس يمكن أن يكون صحيحاً تماماً؛ أي حينما يمتلك أحد طرفي العلاقة الزوجية أو كلاهما القدرة على تفعيل العواطف الإيجابية في إدارة العلاقة فإن ذلك سيمثل صمام الأمان لحيويتها واستمرارها.

هوامش:

***1: ما من شك أن في مجتمعنا كثير من حالات التعدد والتي تستند إلى معطيات شرعية دينية أو من صميم العادات الاجتماعية ولكن الملاحظ هو أن الأمر أخذ في الانحسار ثم إن أغلب الدراسات تحتم في هذا الإطار بمفهوم الزوج "le couple" ***2: يكاد لا يتصور في مجتمعاتنا على الأقل أن تكون النية في بداية الزواج أن تقام علاقة الزواج كعلاقة ظرفية عابرة لتقطع بعد حين ، وإن حدث ذلك فعلى الأرجح أن يكون الأمر متعلقاً باحتيال طرف من أطراف العلاقة الزوجية وهو أمر نادر.

المراجع:

1. أمل محمد حسونة ومنى سعيد أبو ناشي (2006): الذكاء الوجداني، الدار العالمية للنشر والتوزيع.
2. آمال زكريا منسي النمر (2006):فاعلية برنامج لتنمية الذكاء الوجداني على بعض المتغيرات النفسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة.
3. دانيال جولمان (1995): الذكاء العاطفي ترجمة ليلي الجبالي، عالم المعرفة ، عدد 262 ، الكويت.

4. دانيال جولمان(2000): ذكاء المشاعر ، ترجمة هشام الحناوي ، القاهرة ، هلا للنشر والتوزيع.
5. السيد إبراهيم السمدوني(2007): الذكاء الوجداني ،دار الفكر، عمان الأردن.
6. السيد عثمان ومحمود شاكر(1998):ذاتية متوهجة، المجلة المصرية للدراسات النفسية ،المجلد الثامن، العدد18.
7. عبد الله جاد محمود(2006):التوافق الزوجي في علاقته ببعض عوامل الشخصية والذكاء الانفعالي.مجلة كلية التربية جامعة المنصورة ،العدد 60، 2006.
8. فوقية محمد محمد راضي(2001): الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي والقدرة على التفكير الإبتكاري لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية ،العدد(45) يناير ، جامعة المنصورة.
9. مأمون مبيض(ب ت): الذكاء العاطفي والصحة النفسية ، المكتب الإسلامي .
10. محمد السيد عبد الرحمان(1998): دراسات في الصحة النفسية،الجزء الأول، دار فباء للنشر، القاهرة.
11. Amato,P.R, Johnson,A.B. & Rogers,S.J(2003)continuity and change in marital quality between 1980and2000 journal of marriage and family,65 (1),1-21.
- 12.April,C & Taos(2005) :Factor in marital relationships in a changing society :A Taiwan/case study-International social work 40,3
13. Arrindell, W. A., & Luteijn, F. (2000). Similarity between intimate partners for personality traits as related to individual levels of satisfaction with life. Personality and Individual Differences, 28, 629-637
14. Dale Briker(2005) : The link between marital satisfaction and emotional intelligence, University of Johannesburg;
15. Gerieco,C.E ; Emotional intelligence, level support as prédicator of marital satisfaction. Hostra university 2001.
16. Kunkel, G,F.Fetal attachment:Measurement matters, relationship among depression, marital satisfaction and Emotional Intelligence, York-university-Canada2002.

17. Gottman, J. M., & Levenson, R. W. (1992). Marital processes predictive of later dissolution: Behavior, physiology, and health. *Journal of Personality and Social Psychology*, 63, 221–233.
18. Mayer, J. D., & Salovey, P. (1997). What is emotional intelligence? In P. Salovey & D. Sluyter (Eds.), *Emotional development and emotional intelligence: Educational implications* (pp. 3–31). New York: Basic Books
19. Mayer, J. D., Salovey, P., & Caruso, D. R. (2004). Emotional intelligence: Theory, findings, and implications. *Psychological Inquiry*, 15(3), 197–215.
20. O’leary, K. D., & Smith, D. (1991). Marital interactions. *Annual Review of Psychology*, 42, 191–212
21. Russell, R. J. H., & Wells, P. A. (1994). Predictors of happiness in married couples. *Personality and Individual Differences*, 17, 313–321.
22. Schutte, N. S., Malouff, J. M., Bobik, C., Coston, T. D., & Greeson, C. (2001). Emotional intelligence and interpersonal relations. *Journal of Social Psychology*, 141, 523–536.